محمود مراد

«زوجتى الحبيبة. بعد مزيد السلام وكثرة الأشواق، السلام عليك من ميدان الجهاد والتضحية، كان جميلا منك أن تتركى لى فى جيب البيجاما هذه الصورة العائلية وزجاجة الريحة.. اننى أتمرن بحماس شديدة على مقاتلة العدو، فانا اتخيل أثناء التمرين أن العدو الغادر قادم للقضاء عليكم وأراكم تحتمون بى وأنا جاهز ومسلح، قبلاتى للأولاد وعرفيهم أن هذه البوسة من بابا الذى ذهب ليحارب الاستعمار».
(من رسالة ارسلها محمود مراد إلى زوجته خلال وجوده فى خط النار اثناء العدوان الثلاثى مؤرخة فى ١٧-١١-١٩٥٦).

كثيرون يجيدون الحديث عن نضالات وامجاد حققوها أو زعموا انهم حققوها، وكثيرون يعلو صوتهم «النضالى والثورى» فوق أصوات الآخرين، وآخرون يجيدون التنظير صحيحا كان أم خاطئا.. لكن محمود مراد كان غير ذلك تماما. خاض معارك نضالية فعلية وحمل السلاح عديدا من المرات وسجن مرات بلا حصر، وأقام نقاط ارتكازا للفلاحين فى وجه بحرى بحيث يمكن القول أنه واحد من آباء النضال الثورى للفلاحين المصريين، لكنه أبدا لم يتحدث عن نفسه، وحتى لم يرفع صوته بشعارات أو ادعاءات ولا حتى بوقائع صحيحة. عاش فى هدوء وناضل فى هدوء، حمل السلاح فى هدوء وسجن بهدوء، ودون أن تسمع منه أى فعل منسوب إلى نفسه حتى ولو كان صحيحا، وفى السجن سمعته وهو يتحدث عن خبرة العمل المسلح فى القنال.. تحدث طويلا عن خبرات غاية فى الثراء وعن كيفية الاحتماء بالجماهير وعن تعبئة قرى بأكملها لتكون رديفا للمقاتلين. وعن عمليات مسلحة غاية فى الشجاعة لكنه أبداً لم يذكر اسمه، وكأنه كان يتحدث من كتاب كتبه مؤلف مجهول.

.. الفتى نشأ فى أسرة فقيرة أو بالدقة شديدة الفقر فى مدينة طنطا، لكنه كان يغلى بالعداء للاستعمار وللقصر الملكى. لقمة الخبز شحيحة لكنه، بوعى فطرى ادرك أن الجوع

مصدره الاستعمار والملك الطاغية وفى إحدى المظاهرات فى عام ١٩٤٨ ينفلت بعيدا عن المألوف ويهتف «يسقط الملك» ويقبض عليه بتهمة «العيب فى الذات الملكية» وبقى فى السجن لفترة وتظل القضية معلقة فوق رأسه حتى قيام ثورة يوليو وقبلها كان الغاء معاهدة ١٩٣٦ والكفاح المسلح فى القنال، وتلقى دعوة من أحد كوادر حدتو (سيف صادق) كى يشارك فى كتائب الانصار، وبعد حريق القاهرة تبدأ حملات القبض على الفدائيين لكنه يتسرب بهدوء من بين ايديهم إلى حصنه الحصين طنطا ، وهناك يواصل عملا سريا نشيطا بين الفلاحين، ويتوالى صدور نشرة «صوت الفلاحين» صوت فلاحى بحرى (حدتو) وكان مراد خلف اصدارها طباعة وتوزيعا وتحريرا، ورويدا رويدا بدأ تحركات فلاحية وانشطة تعاونية وإنشاء أول دار نشر علنية للفلاحين «دار الفجر» كان الزمان صعبا بل شديد الصعوبة فقبضة ضباط يوليو كانت تعصف بمعارضيها وخاصة منظمة حدتو، لكن مراد ورفاق بحرى سيف صادق عريان نصيف وسعيد النحاس كانوا كتيبة شديدة النشاط وواسعة الانتشار. ويمكن القول أن هذه الكتيبة ومنها محمود مراد هى التى وضعت أسس البساطة الثورية، ولقنت الجميع كيفية اصدار مطبوعات ومحاضرات ونشرات بلغة فلاحية بسيطة جدا لكنها متقنة جدا وماركسية جدا.

وكالعادة وعندما يأتى عدوان ١٩٥٦ عرف محمود مراد طريقه إلى عشقه القديم.. الكفاح المسلح ضد الاستعمار، وهناك فى الإسماعيلية انضم إلى رفاقه فى الصفوف الأمامية استعداد المجابهة الغزاة. لكن مراد كان لا يكف عن التجوال فى القرى المحيطة، يزور البيوت بيتا بيتا شارحا وببساطة رائعة لماذا أتى الغزاه؟ ولماذا يتعين مواجهتهم؟ ويمزج ذلك كله برحيق جميل من الفكر الاشتراكى، وأصبح عم محمود واحدا من اساطير النضال الفلاحى المسلح فى القرى الأمامية. وتنتهى المعركة باندحار الغزاة وإذ تأتيه طفلة جديدة يسميها «انتصار» ويستقر محمود مرة أخرى فى حصنه بقرى الغربية، وتتوالى اصدارات «دار الفجر» متحدثة إلى الفلاحين بحديث ثورى بسيط يتسلل إلى عقول الجميع. لكن عبد الناصر يعود لينقلب على حلفائه فى المعركة ضد الغزاة، وفى أول يناير ١٩٥٩ يبدأ حملة ضارية ضد قيادات حدتو.. لكن محمود مراد وغيره من الكوادر الوسطى واصلوا نضالا سريا مريرا فى محاولة لمواجهة هذه الحملة، ويقبض عليه فى مارس ومن سجن القلعة يكتب إلى فتحية (زوجته) قائلا فى رسالة قام بتهريبها من السجن «زوجتى

الحبيبة بعد مزيد السلام اكتب لكم بعد هذا الفراق اللعين الذى لم يكن أحد ينتظره أو يتوقعه خاصة فى هذه الفترة التاريخية من حياة وطننا.. وفى نظرى أن هذا الاعتقال لا مبرر له» لكن الاحزان تتراكم فيأتيه نبأ اغتيال رفيق النضال محمد عثمان على يدى زبانية الأمن، ومن القلعة إلى الواحات، ليشهد واحدة من اسود مراحل التعذيب الوحشى. ومن الواحات إلى سجن مصر حيث قدم إلى المحاكمة ضمن ٤٧ متهما فى قضية «الحزب الشيوعى المصرى- حدتو». وإلى الإسكندرية ليواجه المجلس العسكرى العالى برئاسة الفريق هلال عبد الله هلال قائد سلاح المدفعية» وتنتهى المحاكمة التى دافع فيها عن نفسه ببساطة أغاظت الفريق، ويرحل بعد المحاكمة إلى سجن ابو زعبل حيث حفل الاستقبال الدموى الذى استشهد فيه شهدى عطية.. ويعود إلى الواحات ليبقى هناك حتى ابريل١٩٦٤. وعندما تلوح بوادر تأسيس منبر اليسار يكون من أوائل القادمين وبعد انتفاضة ١٦ و١٧ يناير ثم الموقف التجمعى الصلب الرافض لزيارة السادات للقدس، ثم كامب ديفيد تبدأ صدامات متكررة أو بالدقة مستمرة مع السادات .. ويكون مراد كما عهدناه فى المقدمة فيقبض عليه، ثم يقبض عليه ثم تتوالى مرات القبض والسجن والافراج ثم القبض والسجن والإفراج ست مرات فى زمن السادات وحده وقبلها كثير منذ العهد الملكى وعهد عبد الناصر ثم السادات.

ويكون مراد كعادته هادئا. يخفى تاريخ نضاله الطويل، ينطق بما فعله الآخرون أما عن نفسه فهو دوما صامت ومبتسم فهى قناعة عميقة توحى إليه أنه فعل ما يجب، ومهما فعل فهو لم يقدم ما يعتقد انه كافيا.

إنه نموذج المناضل.. البسيط.. العامل.. الفقير الذى لا يحب الزهو ولا الادعاء ولا الجمل الثورية. إنه ببساطة نموذج للثورى الشعبى البسيط.